أولا ـ إبتداء أمر المرابطين :

كان إسلام قبائل الملثمين ذا أثر كبير في تاريخ المغرب والسودان، ونتج عنه تحالف كل قبائل الصحراء والسودان الغربي بزعامة لمتونة، ويعود الفضل في هذا إلى "تيولوتان بن تيكلان"، وكان على هؤلاء الإتجاه صوب الشمال لتوسيع مملكتهم[1]، ولقب المرابطون هؤلاء بالملثمين لانهم كانوا يتخذون اللثام عادة وقد فسر المؤرخون ذلك لعدة أسباب[2]، وذكر ابكري أنهم كانوا يلتزمون النقاب فلا يبدو منهم إلا محاجر عينيهم، ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال[3].

لقد تجاوز عدد القبائل التي انضمت وتحالفت تحت لواء واحد السبعين قبيلة[4]، وقد أخذت على عاتقها تخليص المغرب الإسلامي من البدع التي نشرتها برغواطة، كماأن ظهر تصادف مع ضعف الحماديين والزيريين بنو عومتهم في افريقية، وأيضا هجمات النورمان الذين كانوا قاب قوسين أو أدنى من الاستيلاء على السواحل الشمالية للمغرب ككل.

أما عن إسم المرابطين فقد كان ذلك يعود إلى معلمهم الأول عبد الله بن ياسين[5] الذي أسس رباطا في جزيرة من جزر المحيط الأطلسي قبالة السنغال، فكثر عليه الوافدون وأخذ يعلمهم شرائع الإسلام الصحيح.

ومن الزعماء الذين كان لهم الفضل في تثبيت الدعوة المرابطة بالمغرب الإسلامي يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي خرج من ديار الملثمين في رحلة لطلب العلم وآداء فريضة الحج حيث طاف حواضر المغرب فاس والقيروان والتقى بعالمها الجليل أبي عمران الفاسي[6]، وكان الجدالي قد تألم لحال ما أصاب قومه في صحراء الملثمين من انتشار البدع والخرافات، فطلب من أبي عمران أن

---

[1] ابن خلدون ، مصدر سابق، ج6 ، ص 181.

[2] العبادي في تاريخ المغرب والاندلس ص 288 .

[3] البكري، مصدر سابق، ص 164 .

[4] حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 39 .

[5] أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج4، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1418 هـ / 1998 م، ص 532 .

[6] ابن ابي زرع، الأنيس ...، ص 78 .

يوفد معه أحد طلبته المالكيين ليصحبه إلى بلاده[1]، فأحجم الكثير من طلبة أبي عمران على آداء هذه المهمة لبعد المسافة، إلا أن أبي عمران دله على فقيه في السوس الأقصى وهو أعرف بحال الملثمين وهو وجاج بن زلو اللمطي حيث ارسل إليه أبي عمران رسالة مع يحيى بن إبراهيم نصها عند البكري " ابعث إلى بلده من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياستهليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في الدين "[2].

ثانيا ـ مرحلة عبد الله بن ياسين :

لم يتردد يحيى في إيصال الرسالة إلى وجاج هذا الأخير بدوره انتدب للدعوة تلميذا من تلامذته وهو عبد الله بن ياسين، هذا الأخير الذي أخذ على عاتقه إحياء السنة بين قومه ووفدت إليه الوفود داعيو من كل صوب[3]، كما عكف على توحيد قلوب اللثمين والتوحيد بين القبائل المتنافرة على أساس من الدين الصحيح، فكثر الطلبة حوله من كل مكان ينهلون من علمه ودروسه[4]، كما بدأ حركته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبين حدود الشرع لهؤلاء في بيان حد الزنى والسرقة وغيرها، كما حارب فكرة الاستعباد بشدة، هذه السياسة كان لها ردة فعل عنيفة من طرف الكثير منهم، منهم الفقيه الجوهر بن سكن مع رجلين حيث طردوه وهدموا داره[5].

بعد أن تعرض ابن ياسين إلى هذه الحادثة لجأ إلى جزيرة في عرض البحر وابتنى رباطا هناك، وأعاد منه جمع مريديه[6]، فكثروا حوله واختبرهم أشد الاختبار، وأطاعوه طاعة عمياء، ولا فرق في ذلك كبيرهم وصغيرهم[7]،ولكن في هذه المرحلة توفي يحيى بن إبراهيم الجدالي وخلفه يحيى بن

---

[1] ابن ابي زرع، الأنيس ...، ص 77 .

[2] البكري، المصدر السابق، ص 165 .

[3] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 78 .

[4] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف من أهل القرن الثامن عشر، ط1 ، تحقيق، سهيل زكار ، عبد القادر القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،1399 هـ / 1979 م ، ص 10 .

[5] البكري، مصدر سابق، ص 165 .

[6] ابن ابي زرع، الأنيس ...، ص 79 .

[7] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 145 .

عمر اللمتوني الذي بدأ في تحضير هؤلاء المرابطين لمعركة الجهاد الكبرى[1]، ووقعت أزمة داخل المرابطين لأن جدالة أرادت القيادة لها وذلك لفضل يحيى الجدالي على المرابطين لكن عبد الله بن ياسين استطاع التحكم في الأمور والقضاء على الفتنة .

لما تمكن ابن ياسين من إقناع المرابطين بزعامة أبو بن عمر أخذ له البيعة منهم[2]، لتحين بعدها لحظة إعلان الجهاد فاتجه صوب الشمال لاسترداد "أودغست" التي اغتصبها الأعداء إذ توفي في هذه المعركة التي انتصر فيها المرابطون يحيى بن عمر، ثم اتجه إلى جدالة لتأديبها وانتصر عليها انتصارا ساحقا، ثم تمكن ابن ياسين من إخضاع بقية القبائل كلمطة وجزولة وغيرها[3]، ثم أتى الدور على سجلماسة وما حولها إذ استغاث فقهائها وعلمائها عبد الله بن ياسين لانتشار المنكرات بها فنزلها وانتصر بها على زناتة وأميرها المغراوي[4].

فتح المغرب الأقصى :

كانت سجلماسة أولى المحطات التي فتحها المرابطون من المغرب الأقصى ثم تقدموا صوب تافللت لمقارعة أميرها الزناتي مسعود بن وانودين بن خزرون المغراوي، حيث اصطدم به المرابطون لكنه لم يصمد أمامهم وقتل في هذه المعركة مسعود بن وانودين[5]، وهكذا تم للمرابطين ما أرادو حيث فتحوا سجلماسة وإقليمها برغم المقاومة الكبيرة التي أبدتها زناتة[6]، واستطاع المرابطون في وقت قصير احتلال مابعد جبل درن وبلاد جزولة وبلد ماسة وصولا الى عاصمته تارودنت[7]، ثم فتح المرابطون أغمات سنة 450 هـ/ 1058 م بالرغم من اختلاف المصادر في سنة فتحها[8].

---

[1] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 79 .

[2] القلقشندي ، مصدر سابق، ج 5، ص 189 .

[3] البكري، مصدر سابق، ص 166 .

[4] ابن أبي زرع، الأنيس ...، ص 81 .

[5] ابن الخطيب، رقم الحلل ...، ص 52 أنظر أيضا، ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 81 .

[6] مجهول، الحلل الموشية ...، ص 12 .

[7] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 81

[8] مجهول، مفاخر البربر .....، مجهول، الحلل الموشية ...، ص 12.

ثالثا ـ عوامل سقوط دولة المرابطين

ضعفت القيادة العليا للمرابطين منذ تولى على بن يوسف حكم البلاد، واستبد كثير من الأمراء بالأمر، ثم جاء الخلاف الخطير بين إبراهيم بن تاشفين وعمه «إسحاق بن على على السلطة، في الوقت الذى كان يزحف فيه الموحدون نحو العاصمة مراكش ، يضاف إلى ذلك تخاذل الجند، فضلا عن الحروب المستمرة التي خاضوها بالأندلس، فاستنزفت قواهم واقتصاد بلادهم، وظهور شخصية ابن تومرت الذى نجح في جذب أعداد كبيرة إليه، فكان ذلك كله من أسباب سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين[1].

رابعا ـ العلاقات الخارجية لدولة المرابطين

تركزت علاقات المرابطين في جبهتي الأندلس و الدولة العباسية؛ حيث هبوا لنجدة الأندلس من النصارى الإفرنج، ثم قرروا ـ بعد عدة معارك ـ ضمها إلى دولتهم، وظلت المعارك هي الطابع المميز لعلاقة المرابطين بالممالك الإفرنجية في الشمال الأندلسي ، أما علاقتهم بالعباسيين فقد بدأت بعد أن قاموا بنشر دعوتهم بأرجاء المغرب الأقصى، ومن ثم اتصلوا بالخلافة واعترفوا بسلطة الخليفة الروحية في العالم الإسلامي، وطلبًا لتأييد «الخلافة العباسية لهم، وفى ذلك دعم لدعوتهم التي تأسست عليها دولتهم، وكان الترحيب والاستجابة سمة العلاقة بين الجانبين[2].

خامسا ـ نظام الحكم: تلقب المرابطون بالأمراء عكس الموحدين وكانوا يدينون بالطاعة للخلافة العباسية بالمشرق على الرغمن قوتهم الكبيرة، وأعتمد هؤلاء في تولية الإمارة على نظام ولاية العهد مثلما فعل يوسف بن تاشفين وولده علي من بعده وكان هذا من أسباب ضعف الدولة[3].

---

[1] للمزيد حول الأسباب المتعددة لسقوط دولة المرابطين، أنظر، محمد علي الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 1430 هـ / 2009 م، ص 233 .

[2] خليل إبراهيم صالح، علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدولة الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1979 م، ص 97 وما بعدها .

[3] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص 57 وما بعدها.